

التفسير المحرر 14-10114-1.0

هذه الحروف المقطعة التي افْتُتِحَتْ بها هذه السُورَةُ
وغيرُها، تأتي لبيان إعجاز القرآن؛ حيث تُظهر عَجَزَ الخَلْقِ
عن مُعارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مع أَنَّهُ مَرَكَّبٌ مِنْ هذه الحروفِ العَرَبِيَّةِ
الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بها!

هذه الآياتُ العَالِيَةُ المَقَامِ، الرَّفِيعَةُ الشَّانِ، آياتُ الكِتَابِ
الجامعِ لأنواعِ الكَمالِ، وآياتُ قرآنٍ عَظِيمٍ واضِحٍ إعجازه
للخَلْقِ، مُظهِرٌ للحقائق بأحسنِ بَيانٍ، وأَوْضَحِهِ.
سَيَنْدُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ عَلَى ما كانوا فِيهِ مِنَ الكُفْرِ، وَيَتَمَنَّوْنَ
لو كانوا مُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا، مُوحِدِينَ، مُنْقَادِينَ لأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَخاضِعِينَ لأَحْكامِهِ.

اتْرِكِ الكُفَّارَ -يا مُحَمَّدٌ- يَأْكُلُوا فِي هذه الدُّنْيَا ما هُم أَكِلُوهُ،
وَيَتَمَتَّعُوا بِشَهَوَاتِها وَلَذَائِها، وَيَشْغَلْهُمُ الأَمَلُ عَنِ الإِيْمانِ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَطاعَتِهِ، وَالاستعدادِ لِلآخِرَةِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُ الكُفَّارُ أَنَّهُمْ
خاسِرُونَ، وَأَنَّ عاقِبَةَ كُفْرِهِم عَذابٌ أَلِيمٌ مُهِينٌ.
وما أَهْلَكُنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ يَسْتَحِقُّونَ العَذابَ إِلَّا وَكانَ لَهلاكِهِمْ
زَمَنٌ مُحدَّدٌ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ المُحْفُوظِ، فلا تُهْلِكُهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوهُ.
لا يَتَقَدَّمُ هلاكُ أُمَّةٍ قَبْلَ الوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ لَهلاكِها، ولا
يَسْتَأْخِرُ فَيَتجاوزُ الوَقْتَ المُحدَّدَ لَهُ.

وَقالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تَهَكُّمًا
بِهِ: يا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ فِي دَعْوَتِكَ
لَنَا إِلى اتِّباعِكَ، وَتَرَكِ عِبادَةَ الأَصْنامِ الَّتِي وَجَدْنَا عَلَيْها أَباءَنا!
وَقالُوا لَهُ: هَلَّا نُحْضِرُ إِلَيْنَا المَلائِكَةَ؛ لِنَشْهَدُوا لَكَ عَلَى ما
تَقُولُ، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي أَنَّكَ رَسولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا،
فإِنْ لَمْ تَأْتِنَا بِالمَلائِكَةِ، فَلَسَتْ بِصادِقٍ فِي دَعواكَ!

ما نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِمَا يَحِقُّ وَيَجِبُ - كَالْوَحْيِ أَوْ الْعَذَابِ،
وغير ذلك- تَنْزِيلًا مُتَنَبِّسًا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، لَا عَلَى حَسَبِ
اقتراح الكُفَّار، ولو نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْكُفَّار -كَمَا اقْتَرَحُوا-
فَرَأَوْا الْمَلَائِكَةَ عِيَانًا وَلَمْ يُؤْمِنُوا؛ فَلَنْ يُمَهِّلَهُمُ اللَّهُ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ فِي
الْحَالِ.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ الذِّكْرُ وَالْمَوْعِظَةُ وَالشَّرَفُ،
وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ فِي حَالِ أَنْزَالِهِ مِنْ اسْتِرَاقِ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ،
وَبَعْدَ أَنْزَالِهِ بِحِفْظِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ
والتَّحْرِيفِ.

ولقد أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- رُسُلًا فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.
وَمَا أَتَى تِلْكَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ؛
لَدَعَوْتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ، إِلَّا سَخَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ.
كَذَلِكَ نُدْخِلُ الْقُرْآنَ قُلُوبَ الْمَجْرَمِينَ، فَهُمْ يَسْمَعُونَهُ وَيَفْهَمُونَهُ
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ يَفُوقُ كُلَّ كَلَامٍ، وَأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ
مَعَارَضَتِهِ، مَعَ أَنَّهُ بِلِسَانِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يُكَذِّبُونَ بِهِ.
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، وَقَدْ مَضَتْ عَادَةُ اللَّهِ بِإِهْلَاكِ الْكُفَّارِ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ
مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ.

ولو فَتَحْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ، فَجَعَلُوا
يَصْعَدُونَ فِي وَضَحِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْبَابِ، وَيُشَاهِدُونَ مَا فِي
السَّمَاءِ بِأَعْيُنِهِمْ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ
وَمَلَائِكَتِهِ.

لَجَحَدُوا أَنْ يَكُونُوا رَأَوْا شَيْئًا، فَقَالُوا: إِنَّمَا سُدَّتْ أَبْصَارُنَا
بِالسِّحْرِ، وَمُنِعَتْ مِنَ النَّظَرِ! بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَمَا عُدْنَا
نَعْقِلُ الْأَشْيَاءَ وَنَرَاهَا كَمَا يَجِبُ!

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي
مَسِيرِهِمَا، وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ لِمَنْ يُبْصِرُهَا، وَلِمَنْ
يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَتَأَمَّلُهَا وَيَعْتَبِرُ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِهَا
وَوَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَحَرَسْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،
لِنَلَّا يَسْتَمْعُوا إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

لَكِنْ قَدْ يَتَقَدَّمُ بَعْضُ مَرَدِّتِهِمْ فَيَخْتَطِفُ بِخُفْيَةٍ خَطْفَةً يَسِيرَةً مِمَّا
يَسْمَعُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْحَوَادِثِ مِمَّا سَوَى الْوَحْيِ،
فِيَلْحَقُهُ شِهَابٌ مِنَ النَّارِ مُضِيٌّ ظَاهِرٌ، فَيَقْتُلُهُ أَوْ يُخْبِلُهُ أَوْ يُحْرِقُهُ.
وَالْأَرْضَ بَسَطْنَاهَا، وَوَسَّعْنَاهَا، وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا ثَابِتَةً
تُمْسِكُهَا؛ لِنَلَّا تَضْطَرِبَ بِأَهْلِهَا، وَأَوْجَدْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ مُقَدَّرٍ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ، بِقَصْدٍ وَإِرَادَةٍ.

وَهَيَّأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا تَعِيشُونَ بِهِ مِنَ
الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَبَسَّرْنَا لَكُمْ الْحَرْفَ، وَأَنْوَاعَ الْمَكَاسِبِ،
وَجَعَلْنَا لَكُمْ الْأَوْلَادَ وَالْعَبِيدَ وَالذَّوَابَّ وَالْأَنْعَامَ الَّتِي تَرْزُقُهَا نَحْنُ
لَا أَنْتُمْ.

وَمَا مِنْ شَيْءٍ -مِنْ جَمِيعِ الْأَرْزَاقِ، وَأَصْنَافِ الْأَقْدَارِ، مِنْ
الْأَمْطَارِ وَغَيْرِهَا- إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ خَزَائِنُهُ، وَمِفَاتِيحُهُ بِيَدِهِ؛ فَهُوَ
مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ مَتَى يَشَاءُ، وَمَا
نُنَزِّلُ الْأَمْطَارَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا بِمِقْدَارٍ مُحَدَّدٍ، لَا يَزِيدُ
وَلَا يَنْقُصُ، بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

وَأَرْسَلْنَا رِيَّاحَ الرَّحْمَةِ لِنُلْقِيَ السَّحَابَ، فَيَنْشَأَ عَنْ ذَلِكَ الْمَاءِ
الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّحَابُ، فَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَمَكَثْنَاكُمْ مِنْ
هَذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ؛ لِشُرْبِكُمْ، وَشُرْبِ أَنْعَامِكُمْ، وَسَقْيِ أَرْضِيكُمْ،
لَيْسَتْ خَزَائِنُ الْمَطَرِ عِنْدَكُمْ، بَلْ نَحْنُ الْخَازِنُونَ لَهُ، نُنْزِلُهُ مَتَى
نَشَاءُ.

وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، وَنُحْيِيهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ يَوْمَ
الْبَعْثِ، وَنُمِيتُ الْأَحْيَاءَ مَتَى شِئْنَا، وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ لِلْأَرْضِ وَمَنْ
عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ.
وَلَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُنَا بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَبِمَنْ تَأَخَّرَ،
وَبِأَحْوَالِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ جَمِيعًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ.

وَإِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، لَا شَكَّ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ،
وَصِدْقِ وَعْدِهِ، إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- حَكِيمٌ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا
اللَّائِقَةِ بِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ حِكْمَتُهُ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ
شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِأَعْدَادِ خَلْقِهِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ،
فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَفَشَرٌ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ مِنْ طِينٍ قَدْ اشْتَدَّ يُبْسُهُ بَعْدَمَا خُمِرَ، حَتَّى صَارَ
لَهُ صَوْتُ صَلَصلةٍ إِذَا نُقِرَ، وَهَذَا الصَّلَصالُ مِنْ طِينٍ أَسْوَدَ
مَتَغَيَّرَ؛ مِنْ طَوْلٍ مُكْتَبِهِ.

وَابْلِيسَ -أَبَا الْجِنِّ، الْمَتَوَارِي عَنِ الْأَعْيُنِ- خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ آدَمَ
مِنَ النَّارِ الشَّدِيدَةِ الْحَرَارَةِ.

وَاذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي خَالِقٌ إِنْسَانًا مِنْ
طِينٍ يَابِسٍ أَسْوَدَ مَتَغَيَّرٍ.

فَإِذَا أَكْمَلْتُ خَلْقَ آدَمَ، وَصَوَّرْتُهُ، وَصَارَ جَسَدًا تَامًا فِي غَايَةِ
الْإِتْقَانِ، وَنَفَخْتُ فِيهِ الرُّوحَ الَّتِي هِيَ مِنْ خَلْقِي، فَصَارَ بَشَرًا
حَيًّا؛ فَخَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ تَحِيَّةً لَهُ وَتَكْرِيمًا.

فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، سَجَدَ لَهُ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ
فَوْرًا، كَمَا أَمَرَ هُمَ اللَّهُ.

إِلَّا إِبْلِيسَ امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ السَّاجِدِينَ لِآدَمَ؛ تَكَبَّرًا
مِنْهُ وَحَسَدًا لِآدَمَ.

قَالَ اللَّهُ: يَا إِبْلِيسُ، مَا السَّبَبُ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَلَّا تَكُونَ مَعَ
الْمَلَائِكَةِ السَّاجِدِينَ لِآدَمَ، وَقَدْ أَمَرْتُكَ بِالسُّجُودِ مَعَهُمْ؟!!

قَالَ إِبْلِيسُ: لَا يَنْبَغِي لِي أَنَا -الْمَخْلُوقَ مِنْ نَارٍ- أَنْ أَسْجُدَ لِهَذَا
الْجَسَدِ الَّذِي خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَا مَنَعَةَ فِيهِ، إِذَا نُقِرَ أَجَابَ
بِالنَّصُوبِ، أَسْوَدَ مُتَغَيِّرٍ، فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّكَ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ
قَالَ اللَّهُ لِإِبْلِيسَ: فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ مَشْتَوِمٌ مُحَقَّرٌ مَذْمُومٌ.

وإِنَّ طَرْدَكَ التَّامَّ مِنْ رَحْمَتِي سَيَبْقَى فِي الدُّنْيَا مُتَّصِلًا بِكَ،
لَا حَقًّا لَكَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي تُلَاقِي فِيهِ جَزَاءَ مَا عَمِلْتَ.
قَالَ إِبْلِيسُ: رَبِّ فَإِذَا أَخْرَجْتَنِي وَلَعَنْتَنِي، فَأَمْهَلْنِي وَأَخْزِنِي،
وَلَا تُهْلِكْنِي إِلَى أَنْ تَبْعَثَ خَلْقَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللَّهُ لِإِبْلِيسَ: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُوَخَّرِينَ الْمُمְهَلِينَ.
إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ الْخَلَائِقُ، وَهُوَ وَقْتُ النَّفْخَةِ
الْأُولَى.

قَالَ إِبْلِيسُ: رَبِّ بِسَبَبِ إِغْوَايِكَ لِي لِأَحْسِنَنَّ لِلنَّاسِ مَعَصِيَتَكَ،
وَلَأُرْغَبَنَّهُمْ فِيهَا، وَلَأَسْغَلَنَّهُمْ بِزِينَةِ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَتِكَ، وَلَأُضِلَّنَّ
جَمِيعَ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لَهْدَايَتِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ
وَالرِّيَاءِ فَصَارُوا مُخْلِصِينَ، فَلَا أُسْتَطِيعُ إِغْوَاءَهُمْ.

قال الله: طَرِيقُ الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالْإِخْلَاصِ طَرِيقُ مُعْتَدِلٍ، لَا
اعْوِجَاجَ فِيهِ، يَدُلُّ عَلَيَّ، وَيُوصِلُ إِلَيَّ، وَإِلَى جَنَّتِي.

قال الله لإبليسَ: إِنَّ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ هَدَيْتُهُمْ،
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ وَتَسْلُطُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، لَكِنْ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ
النَّاسِ فَرَضِي بَوْلَايَتِكَ وَطَاعَتِكَ، وَمَالَ إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ
الضَّلَالَاتِ؛ فَلكَ عَلَيْهِ تَسْلُطٌ.

وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدٌ لِبَلِيسَ وَكُلِّ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ
أَجْمَعِينَ، فَيَصِيرُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.

لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، يَدْخُلُ أَهْلُ النَّارِ مِنْهَا، لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَتْبَاعِ
إِبْلِيسَ نَصِيبٌ مَعْلُومٌ، يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى النَّارِ، كُلُّ يَدْخُلُ مِنْ بَابٍ
بِحَسَبِ عَمَلِهِ، وَيَسْتَقَرُّ فِي ذَرَكٍ بِقَدْرِ فِعْلِهِ.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ تَعَالَى بِامْتِنَالٍ مَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابٍ مَا نَهَى،
فِي جَنَاتٍ - قَدْ احْتَوَتْ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْجَارِ، وَأَيْنَعَتْ فِيهَا جَمِيعُ
الثَّمَارِ - وَغُيُونَ مِثْلَ غُيُونِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ، وَالسَّلْسَبِيلِ وَالتَّنْسِيمِ،
وغير ذلك.

يُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ مُسْلِمًا عَلَيْكُمْ، سَالِمِينَ
مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَآفَةٍ، آمِنِينَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ، وَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ
وَالْأَمْرَاضِ، وَانْقِطَاعِ النَّعِيمِ أَوْ نُقْصَانِهِ، وَمِنْ سَائِرِ الْمُكَدِّرَاتِ.
وَاقْتَلَعْنَا وَأَخْرَجْنَا مَا فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْحَقْدِ
وَالْبُغْضِ وَالْحَسَدِ، الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَالِ كَوْنِهِمْ إِخْوَانًا،
يَكُونُونَ عَلَى الْأَسْرَِّةِ بَعْضُهُمْ فِي مَقَابِلِ بَعْضٍ، يَنْظُرُونَ إِلَى
وُجُوهِ جُلَسَائِهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ.

لا ينال المتقين في الجنة أي تعب أو مشقة، وليس المتقون من الجنة بمُخرجين، بل هم فيها دائمون.

أخبر -يا محمد- عبادي خبرًا جازمًا مؤكدًا أنني أنا كثير المغفرة لذنوبهم إذا تابوا، فأستُر ذنوبهم وأتجاوز عن مؤاخذتهم، كثير الرحمة بهم إذا استقاموا، ومن رحمتي أنني لا أعذبهم على الذنوب بعد توبتهم منها.

وأخبر -يا محمد- عبادي أيضًا أن عذابي لمن أصرَّ على الكفر والمعاصي، فلم يثب منها، هو العذاب الموحج الكثير الإيلام؛ فليحذروا أسباب عذابي، وليقبلوا على التوبة والإنابة إلي.

وأخبر عبادي -يا محمد- عن قصة الملائكة؛ ضيوف إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ فإن في قصصك عليهم ذلك ما يوجب لهم العبرة.

حين دخل الملائكة على إبراهيم، فقالوا له عقب دخولهم: نسلّم عليك سلامًا، قال لهم إبراهيم بعد أن ردّ عليهم السلام: إنا منكم خائفون.

قالت الملائكة لإبراهيم: لا تخف منّا، إنا نبشرك بمولود لك ذي علم كثير بالشرعية الإلهية وهو إسحاق.

قال إبراهيم للملائكة متعجبًا: أبشروني بولدٍ مع كبر سنّي؟! فبأي شيء عجيب نبشرونني؟! فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة لا تصح.

قالت الملائكة لإبراهيم: بشرك بولدٍ قد قضى الله أنه كائن بلا شك، فلا تكن من اليائسين من فضل الله، الذين يستبعدون وجود الخير، ولكن أبشر بالولد مع الكبر، واقبل البشري بذلك.

قال إبراهيم: وَمَنْ يَبْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الدَّاهِيُونَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ، الْجَاهِلُونَ بِكَمَالِ قُدْرَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ الْوَهَّابِ.
قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم الخطير الذي أرسلكم الله به سِوَى الْبِشَارَةِ؟!

قالت الملائكة لإبراهيم: إِنَّا أَرْسَلْنَا اللَّهَ إِلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ كَثْرَ فُسَادِهِمْ، وَعَظَمَ خَبَثُهُمْ؛ لَنُهْلِكَهُمْ.
لَكِنْ لَوْطًا وَأَهْلَهُ، لَنُهْلِكَهُمْ، وَنُخَلِّصُهُمْ جَمِيعًا مِنَ الْعَذَابِ.
إِلَّا امْرَأَةً لَوْطٍ، قَضَيْنَا أَنَّهَا مِنَ الْمُهْلَكِينَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ؛ لَكُفْرِهَا.

فَلَمَّا أَتَتْ الْمَلَائِكَةُ لَوْطًا وَأَهْلَهُ.
قال لوطٌ للملائكة: إِنَّكُمْ قَوْمٌ غَيْرُ مَعْرُوفِينَ لَدَيَّ، فَلَا أَدْرِي مَنْ أَنْتُمْ!

قالت الملائكة لِلْوَطِ: بَلْ نَحْنُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ، جِئْنَاكَ بِعَذَابِ قَوْمِكَ، الَّذِي كَانُوا يَشْكُونَ فِي وَقْعِهِ بِهِمْ.
وَأَتَيْنَاكَ بِالْيَقِينِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -وَهُوَ عَذَابُ قَوْمِكَ- وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ هَلَاكِهِمْ.

فَاخْرُجْ -يَا لَوْطُ- أَنْتَ وَأَهْلُكَ مِنْ أَرْضِ قَوْمِكَ بَعْدَ مُضِيِّ وَقْتٍ مِنَ اللَّيْلِ؛ حَيْثُ تَكُونُ الْعَيُونُ قَدْ نَامَتْ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِمَسْرَاكِ، وَكُنْ مِنْ وَرَاءِ أَهْلِكَ، وَامْشِ خَلْفَهُمْ حِينَ تَسْرِي بِهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ وَرَاءَهُ، وَلْتَجِدُوا فِي السَّيْرِ فَتَتَبَاعَدُوا عَنِ الْقَرْيَةِ، وَتَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِأَهْلِهَا، وَاذْهَبُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تُوَمَّرُونَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ.

وَأَوْحَيْنَا إِلَى لَوْطٍ مَا قَدَّرْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ؛ أَنْ جَمِيعَ قَوْمِهِ مُهْلَكُونَ عَنْ آخِرِهِمْ هَلَاكَ اسْتِئْصَالٍ مَطْلَعُ صَبَاحٍ لَيْلَتِهِمْ.

وجاء أهل مدينة قوم لوط إلى بيت لوط فرحين مسرورين،
يُبشِّرُ بعضهم بعضاً بقدوم أضياف لوط؛ طمعا في فعل الفاحشة
بهم!

قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين تريدون فعل الفاحشة بهم
ضيوفي، وحق على الرجل إكراهم ضيوفه، فلا تفضحوني في
ضيوفي بتعاطي ذلك الفعل القبيح، فيلحقني العار.
وخافوا الله أن يحل بكم عذابه، ولا تذلوني وتهيئوني
بالتعريض لضيوفي بمكروه.

قال قوم لوط له: أو ما نهيناك -يا لوط- عن ضيافة أحد من
الناس؟ فنحن قد أندرناك، ومن أندر فقد أعذر.

قال لوط لقومه: تزوجوا من نسائكم، ولا تفعلوا ما حرم الله
عليكم من إتيان الذكور، إن كنتم فاعلين.

أقسم بحياتك -يا محمد- إن قوم لوط لفي ضلالتهم وجهلهم
وغفلتهم يتحIRON، ولا يهتدون؛ بسبب سكرة الهوى والعشق.
فأخذتهم صيحة عظيمة هائلة مهلكة، وقت شروق الشمس.
قلبنا عليهم مدينتهم، فجعلنا أعلاها أسفلها، وأنزلنا عليهم
حجارة من طين متحجرة.

إن في قصة قوم لوط وما فعلناه بهم من العذاب، وبقاء آثار
هلاكلهم، لعلامات للمنفّرسين المتأملين المتفكرين، الذين لهم
فكر وفراسة يفهمون بها ما أريد بذلك، فيعتبرون.
وإن مدينة قوم لوط لفي طريق باق واضح ثابت يسلكه
الناس، فيرى كل من يمر بها آثار تدميرها.

إِنَّ فِي إِهْلَاكِنَا قَوْمَ لُوطٍ، وَإِنْجَانِنَا لُوطًا وَأَهْلَهُ الْمُؤْمِنِينَ،
لَعَلَّامَةً وَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى انتِقَامِ اللَّهِ مِنَ الْكَافِرِينَ،
وإِنْجَانِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَالِمِينَ آمِنِينَ.

وقد كان أصحابُ الغِيْضَةِ -وهي جماعةُ الشَّجَرِ الْمَلْتَقَى
الْمُجْتَمِعِ- ظَالِمِينَ بِشِرْكِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِرَسُولِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَقَطْعِهِمُ الطَّرِيقَ، وَتُطْفِيفِهِمْ فِي الْكَيْلِ، وَبَخْسِهِمُ النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ.

فَانْتَقَمْنَا مِنْ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ الظَّالِمِينَ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ. وَإِنَّ كَلًّا
مِنْ دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ وَدِيَارِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ لَعَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ
نُشَاهِدُ فِيهِ آثَارَ هَلَاكِهِمْ، فَيَعْتَبِرُ بِهَا مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا.
وَلَقَدْ كَذَّبَ سُكَّانُ الْحَجَرِ -وَهُمْ ثَمُودُ- رَسُولَهُمْ صَالِحًا عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَكَذَّبُوا بِذَلِكَ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّهُ دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةٌ.
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ حُجَجْنَا وَبَرَاهِينُنَا الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ رَسُولِنَا
صَالِحٍ -وَمِنْهَا النَّاقَةُ- فَكَانُوا لَا يَتَّعِظُونَ بِهَا وَلَا يَعْتَبِرُونَ.
وَكُنَّا قَوْمُ صَالِحٍ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ مَسَاكِينَ آمِنِينَ فِيهَا مِنَ
الْمَخَافِ.

فَأَخَذَتْ قَوْمَ صَالِحٍ صَيْحَةُ الْهَلَاكِ فِي الصَّبَاحِ.
فَمَا دَفَعَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ، وَلَا أَجْزَأَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ وَلَا
نَحْتُ الْجِبَالِ وَجَمْعُ الْأَمْوَالِ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِحَكْمٍ
وَمَصَالِحٍ عَظِيمَةٍ، لَا عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَتْ وَوَاقِعٌ
لَا رَيْبَ فِيهِ؛ وَفِيهِ يُجَازَى النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَمِنْهُمْ مُشْرِكُو قَوْمِكَ
الَّذِينَ كَذَّبُوكَ وَآذَوْكَ؛ فَأَعْرِضْ -يَا مُحَمَّدُ- عَنْ مُوَاخَذَتِهِمْ فِي
الدُّنْيَا، وَاعْفُ عَنْهُمْ عَفْوًا حَسَنًا مِنْ غَيْرِ عِتَابٍ.

إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- هو الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فلا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَسَيُعِيدُ خَلْقَ عِبَادِهِ يَوْمَ الْبَعْثِ، وهو الْعَالَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، ومن ذلك عِلْمُهُ بما تَفَرَّقَ مِنْ أَجْسَادِ الْعِبَادِ، وَعِلْمُهُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

ولقد أَعْطَيْنَاكَ -يا مُحَمَّدُ- سَبْعَ آيَاتٍ؛ هي سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الَّتِي تَتَّصِفُ بِأَنَّهَا مَثَانٍ؛ لِأَنَّهَا تُنْتَى -أي: تُكَرَّرُ- فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وهي الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْقَدْرُ.

لا تَنْظُرَنَّ -يا مُحَمَّدُ- وَتَتَطَلَّعَنَّ إِلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا الَّذِي مَتَّعْنَا بِهِ أَصْنَافًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا تَتَمَنَّاهُ، وَاسْتَغْنِ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَانِي، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَقَدْ بَلَغَتْ رِسَالَةُ رَبِّكَ، وَأَلِنْ جَانِبَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَارْفُقْ بِهِمْ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ.

وَقُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الَّذِي قَدْ أَبَانَ إِذْكَارَهُ، وَأَظْهَرَ الْحَقَّ لَكُمْ، أَنْذِرْكُمْ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ. وَأَنْذِرْ قَوْمَكَ عَذَابًا مِثْلَ الْعَذَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى الَّذِينَ اقْتَسَمُوا الْقُرْآنَ.

الَّذِينَ فَرَّقُوا الْقُرْآنَ أَجْزَاءً، وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ الْبَاطِلَ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ سِحْرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كِهَانَةٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ! فَأَقْسِمُ بِرَبِّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَنَسْأَلَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا.

فاجْهَرْ بِدِينِ اللَّهِ -الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِتَبْلِيغِهِ- وَأَظْهِرْهُ عِلَانِيَةً، وَفَرِّقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ حَتَّى تَقُومَ عَلَى النَّاسِ الْحُجَّةُ، بَلِّغْ مَا

أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَلَا تَلَقِيتَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَكَ
عَنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ، وَلَا تُبَالٍ بِاسْتِهْزَائِهِمْ، وَاكْفُفْ عَنْ قِتَالِهِمْ.
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، وَسَنَحْفَظُكَ
مِنْهُمْ وَنَعَاقِبُهُمْ؛ فَبَلِّغْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ وَلَا تَخْشَعْهُمْ.

نَكْفِيكَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَعَ اللَّهِ -الْمُسْتَحَقَّ
لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ- شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ يَعْبُدُونَهُ مَعَهُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ -
يَوْمَ الْقِيَامَةِ- مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ.

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ -يَا مُحَمَّدُ- أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ؛ بِسَبَبِ مَا تَسْمَعُهُ
مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، مِنْ تَكْذِيبٍ وَاسْتِهْزَاءٍ، وَطَعْنٍ فِي دِينِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ.

فَافْزَعْ -فِيمَا نَابَكَ مِنْ أَمْرِ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ- إِلَى تَنْزِيهِ رَبِّكَ عَنْ
كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ تَنْزِيهًا مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَافْزَعْ إِلَى
الصَّلَاةِ لِرَبِّكَ.

وَتَقَرَّبْ إِلَى رَبِّكَ عَلَى وَجْهِ الدُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ،
وَدَاوِمْ عَلَى عِبَادَتِهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.

قَرُبْ مَجِيءُ الْقِيَامَةِ بِأَهْوَالِهَا، وَقَضَاءُ اللَّهِ بِعَذَابِكُمْ -أَيُّهَا
الْكُفَّارُ- فَلَا تَسْتَعْجِلُوا ذَلِكَ، وَتَنْزَرَهُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ،
وَعَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.

يُنْزِلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ لِلنُّبُوءَةِ، بَأَنْ أَنْذِرُوا النَّاسَ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ أَشْرَكُوا
بِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَهُ، فَاحْذَرُوا سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ.

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ لِيُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ
عَظَمَةَ خَالِقِهَا، وَيَعْلَمُوا قُدْرَتَهُ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
تَعَاظَمَ اللَّهُ عَنْ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَرَفَّعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ.

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَمَنِيِّ الْمَرْأَةِ، فَإِذَا بِهِ يَكُونُ مُخَاصِمًا خُصُومَةً شَدِيدَةً فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ، وَيُكَذِّبُ بِالْحَقِّ، وَلَا يَشْكُرُ رَبَّهُ!

وَخَلَقَ اللَّهُ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِي أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا مَلَابِيسَ وَفُرُشَ، وَأَعْطَاهُ وَأَبْنِيَّةً تُدْفِقُكُمْ مِنَ الْبَرِّ، وَلَكُمْ فِيهَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ مِنْ نَسْلِهَا وَأَلْبَانِهَا وَدُهُونِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْ لَحُومِهَا تَأْكُلُونَ.

وَلَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي الْأَنْعَامِ جَمَالٌ يَجْلِبُ لَكُمْ السُّرُورَ، حِينَ تَرْجِعُونَهَا مَسَاءً مِنَ الْمَرْعَى إِلَى مَنَازِلِهَا، وَحِينَ تَذْهَبُونَ بِهَا صَبَاحًا إِلَى مَرَاعِيهَا.

وَتَحْمِلُ الْأَنْعَامُ أَبْدَانَكُمْ وَأَمْتِعَتْكُمْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرٍ لَمْ تَكُونُوا وَاصِلِينَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ الْأَنْعَامِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ كَبِيرَةٍ، إِنَّ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَ الْأَنْعَامَ، لَذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ بِكُمْ.

وَخَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ؛ لِتَرْكَبُوا عَلَى ظُهُورِهَا، وَجَعَلَهَا اللَّهُ زِينَةً لَكُمْ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَالِلَّهِ يَنْتَهِي طَرِيقُ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، فَيُوصِلُ مَنْ سَلَكَهُ إِلَى اللَّهِ، وَنَيْلِ رِضَاهُ وَجَنَّتِهِ، وَمِنْ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ طُرُقٌ مُعَوَّجَةٌ، لَا تُوصِلُ سَالِكِيهَا إِلَى اللَّهِ، وَنَيْلِ رِضَاهُ وَجَنَّتِهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ جَمِيعًا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

اللَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ بِكُلِّ تِلْكَ التَّعَمُّ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَمِنْهُ مَاءٌ عَذْبٌ تَشْرَبُونَهُ، وَمِنْهُ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ شَجَرًا تَرْعُونَ فِيهِ أَنْعَامَكُمْ.

يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ بِالْمَطَرِ أَنْوَاعَ الزُّرُوعِ، وَالزَّيْتُونَ، وَالنَّخِيلَ،
وَالْأَعْنَابَ، وَأَنْوَاعًا أُخْرَى مِنْ الْفَوَاكِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَةً
وَاضِحَةً لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَمَا أَقَامَهُ مِنَ
الْحُجَجِ، فَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ.

وَذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ؛ فَاللَّيْلُ لِرَاحَتِكُمْ،
وَالنَّهَارُ لِمَعَاشِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ
بِاسْتِمْرَارٍ؛ لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِكُمْ؛ كَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ، وَنُضْجِ الثَّمَارِ،
وغير ذلك، وَالنُّجُومَ مُدَلَّلَاتٍ لَكُمْ فِي السَّمَاءِ؛ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللَّهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، لَدَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَفْهَمُوا عَنْ
اللَّهِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَسَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ مَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ، كَالدَّوَابِّ وَالثَّمَارِ وَالنَّبَاتِ،
وَالْمَعَادِنِ وَالْجِمَادَاتِ، مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَةً وَعِبْرَةً
لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا فَيَعْتَبِرُوا.

وَهُوَ الَّذِي ذَلَّلَ لَكُمْ الْبَحَرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ سَمَكًا طَرِيًّا،
وَلِتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ اللَّالِئَ وَغَيْرَهَا، فَتَنْزِلُونَهَا بِلُبْسِهَا، وَتَرَى السُّفْنَ
جَارِيَةً، وَهِيَ تَشْقُ الْمِيَاءَ وَالرِّيَّاحَ بِصَدْرِهَا، فَيَسْمَعُ لِحَرِيهَا
صَوْتٌ، فَتَسْتَدِلُّونَ بِعَدَمِ رُسُوبِهَا وَغَرَقِهَا فِي الْمَاءِ -مَعَ ثِقَلِهَا
وَمُبِيعَةِ الْمَاءِ وَرِقَّتِهِ- عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَسَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ الْبَحَرَ
لِحَمْلِ السُّفْنِ؛ لِتَرْكَبُوهَا فِي طَلَبِ مَعَاشِكُمْ، وَتَنْتَقِلُوا عَلَيْهَا
الْبِضَائِعَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ؛ طَلَبًا لِلرِّزْقِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَسَخَّرَ اللَّهُ
لَكُمْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نِعَمَ اللَّهِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا تُنَبِّئُهَا؛ لئَلَّا تَضْطَرَّ بِكُمْ،
وَجَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ؛ لِيَسْقِيَ

النَّاسِ، وَالْأَنْعَامِ، وَالْحَرْثِ، وَطُرُقًا مُبَسَّرَةً وَمَمْتَدَّةً، تَسْلُكُونَهَا
بَسْهُولَةً؛ لِيَتَهَنَّدُوا بِهَا إِلَى كُلِّ مَوْضِعٍ تُرِيدُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.
وَجَعَلَ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَعَالِمَ، كَالْجِبَالِ وَغَيْرِهَا، تَسْتَدِلُّونَ
بِهَا نَهَارًا، وَنَجُومًا تَسْتَدِلُّونَ بِهَا لَيْلًا عَلَى طُرُقِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ.
أَفَمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَجِيبَةِ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا،
وَلَا يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ، فَتُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ؟! أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَجَزَ
مَعْبُودَاتِكُمْ، فَتَعْرِفُوا خَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ،
وَتُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ؟!

وَإِنْ تَعُدُّوا -أَيُّهَا النَّاسُ- نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، لَا تُطِيقُوا إِحْصَاءَ
عَدَدِهَا، فَضْلًا عَنْ شُكْرِهَا، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِعِبَادِهِ تَقْصِيرَهُمْ فِي
شُكْرِ نِعَمِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، لَا يَقْطَعُ عَنْهُمْ إِحْسَانَهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُمْ
لِنَقْصِيرِهِمْ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا تُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَيَعْلَمُ مَا
تُظْهِرُونَهُ لغيرِكُمْ، فَيُحْصِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَيُجَازِيكُمْ بِهِ
وَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا،
بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ جَمَادَاتٌ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا،
فَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَعْقِلُ شَيْئًا، فَكَيْفَ تَتَّخِذُ إِلَهَةً؟ وَمَا تَدْرِي
مَتَى يَبْعَثُهَا اللَّهُ، فَكَيْفَ يُرْتَجَى مِنْهَا نَفْعٌ أَوْ ثَوَابٌ وَجْزَاءٌ؟
مَعْبُودُكُمْ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عِبَادَتَكُمْ، مَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قُلُوبُهُمْ تُنْكِرُ الْحَقَّ، وَهُمْ
مُتَمَتِّعُونَ كِبَرًا عَنْ قَبُولِهِ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ.

حَقًّا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّهُ الْمُشْرِكُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِنْكَارِ الْحَقِّ، وَيَعْلَمُ حَقًّا مَا يُعْلِنُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَسُيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُوَ لَا الْمُشْرِكِينَ: مَا الَّذِي أَنْزَلَهُ رَبُّكُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ؟ قَالُوا: لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، هُوَ مَا سَطَّرَهُ الْأَقْدَمُونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْقِصَصِ الَّتِي يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ.

قَالُوا تِلْكَ الْمَقَالَةُ لِيَحْمِلُوا ذُنُوبَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِيَحْمِلَ الْمُشْرِكُونَ الْمَتَّبِعُونَ أَيْضًا بَعْضَ ذُنُوبِ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ فَيَقْلِدُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَلَا بِنَسٍّ مَا يَحْمِلُهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ الثَّقِيلَةِ!

قَدْ مَكَرَ الْكَفَّارُ - مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ - بِالرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَصَدَّوْا النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ، فَأَتَاهُمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي اجْتَبَتْ بُنْيَانُهُمْ مِنْ أَصْلِهِ، فَسَقَطَ السَّقْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ، وَأَتَاهُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْثَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَتَوَقَّعُونَ.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُذِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ، وَيُظْهِرُ فَضَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي، وَتَتَّخِذُونَهُمْ أَوْلِيَاءَ، وَتُعَادُونَ اللَّهَ وَحِزْبَهُ بِسَبَبِهِمْ؟! فَلْيَدْفَعُوا عَنْكُمْ هَذَا الْعَذَابَ، قَالَ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ: إِنَّ الدَّلَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَذَابَ كَائِنًا عَلَى الْكَافِرِينَ.

إِنَّ الْخِزْيَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ، وَالْحَالَ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، فَاسْتَسْلَمُوا لِلَّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَانْقَادُوا لَطَاعَتِهِ، وَقَالُوا

لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ: مَا كُنَّا نَكْفُرُ بِاللَّهِ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ وَلَا نَعْبُدُهُ! فَيُقَالُ لَهُمْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِسُوءِ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ، مَا كَثِيرَ فِيهَا أَبْدًا، فَيُسَّ الْمَنْزِلُ هِيَ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَنِ الْحَقِّ.

وَقِيلَ لِلْمُتَّقِينَ: مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ مِنَ الْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ؟ قَالُوا: أَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرًا عَظِيمًا - وَهُوَ الْقُرْآنُ -، وَلِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، ثَوَابٌ حَسَنٌ فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاؤُهُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُمْ جَزَاءِ الدُّنْيَا، وَنِعْمَ الدَّارُ هِيَ لِلْمُتَّقِينَ.

بَسَاتِينِ إِقَامَةٍ يَدْخُلُهَا الْمُتَّقُونَ، وَلَا يَرْحَلُونَ عَنْهَا، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، وَلَهُمْ فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهُيهِ أَنْفُسُهُمْ، كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ كُلَّ مَنْ اتَّقَاهُ. يَجْزِي اللَّهُ بِذَلِكَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَقْبِضُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ أَرْوَاحَهُمْ، وَهُمْ طَيِّبُونَ بَطْهَارَتِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَتَقُولُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ لَهُمْ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَهُمْ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ؟ أَوْ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ بِحَشْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَأَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَمَادَوْا فِي شُرِكِهِمْ إِلَى أَنْ هَلَكُوا، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَلَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمُ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى، فَاسْتَخَفُّوا عَذَابَ اللَّهِ.

فَأَصَابَ أَوْلَئِكَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ عُقُوبَاتُ كُفْرِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمِ السَّيِّئَةِ، وَنَزَلَ وَأَحَاطَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَمِنَ الرُّسُلِ إِذَا تَوَعَّدُوهُمْ بِهِ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مُحْتَجِّينَ -كَذِبًا- بِالْقَدَرِ عَلَى شَرِكِهِمْ، وَتَحْرِيمِهِمْ مَا لَمْ يَحَرِّمْهُ اللَّهُ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا شَيْئًا مِنْ دُونِهِ، وَلَا حَرَمْنَا شَيْئًا مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي ابْتَدَعْنَا تَحْرِيمَهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى رِضَاهُ عَنْ أَعْمَالِنَا، وَإِلَّا لَقَدَّرَ غَيْرَ ذَلِكَ! كَذَلِكَ فَعَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ، بَلْ أَنْكَرَ اللَّهُ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَقَدْ بَلَّغُوهُمْ، وَأَوْضَحُوا لَهُمْ.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ رَسُولًا يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُتْرَكِ عِبَادَةُ مَنْ دُونَهُ، فَحُجِّتُهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَامَتْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّمِ، فَمِنْ الْأُمَّمِ مَنْ أَرَشَدَهُمُ اللَّهُ وَوَقَّفَهُمُ الْحَقُّ، وَمِنْ الْأُمَّمِ مَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، وَلَزِمَهُمُ الْكُفْرُ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ لِلْإِعْتِبَارِ، فَانظُرُوا إِلَى نَهَايَةِ أَمْرِ الْأُمَّمِ الْمَكْذِبَةِ بِالْحَقِّ؛ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ.

إِنْ تَحَرَّصَ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى هِدَايَةِ الْمُشْرِكِينَ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ قَدَّرَ بِحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ دَوَامَ ضَلَالِهِ، فَلَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ، وَبَلِّغْهُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ؛ لِتَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَمَا لِلضَّالِّينَ مِنْ نَاصِرِينَ يَمْنَعُونَ عَنْهُمْ عُقُوبَةَ اللَّهِ، وَيُنْقِذُوهُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

وَحَلَفَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ بِاللَّهِ، وَغَلَّظُوا الْأَيْمَانَ وَأَكْدَوْهَا، عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ الْمَوْتَى بَعْدَ أَنْ صَارُوا ثُرَابًا! بَلَى سَيَبْعَثُ اللَّهُ

الموتى، وهذا وعدٌ من الله لا يُخلف، ولكن أكثر الناس يُنكرون ذلك لجهلهم بالله تعالى.

سَيَبْعُثُ اللهُ الموتى؛ لِيُظْهَرَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ الْحَقَّ الَّذِي كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ -وَمِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ثُبُوتِ الْبَعْثِ- وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَيَجْزِي كُلًّا بِمَا عَمِلَهُ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي حَلْفِهِمْ عَلَى انْكَارِهِ.

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ نُرِيدُ إِيجَادَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً: كُنْ، فَيَكُونُ كَمَا أَرَدْنَا بِلَا تَأْخِيرٍ، وَلَا تَعَبٍ، وَلَا مَشَقَّةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى.

وَالَّذِينَ تَرَكُوا أَوطَانَهُمْ وَقَوْمَهُمْ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَذَّبُوهُمْ لَنُسَكِّنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا بَلَدًا يَرْضَوْنَهَا، وَلَنَرْزُقَنَّهُمْ رِزْقًا وَاسِعًا، وَعَيْشًا هَنِيئًا، وَنَوْتِيهِمْ جِزَاءً حَسَنًا، وَثَوَابُ اللَّهِ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ كَانَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهَجْرَةِ يَعْلَمُونَ ثَوَابَ اللَّهِ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَمَا تَخَلَّفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ هُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا فِي اللَّهِ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَعْتَمِدُونَ، وَيُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ.

وَمَا أَرْسَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَّا رِجَالًا مِنْ بَنِي آدَمَ نُوحِي إِلَيْهِمْ لَا مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ كَانُوا بَشَرًا لَا مَلَائِكَةً. أَرْسَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ بِالْحُجَجِ وَالْكِتَابِ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- الْقُرْآنَ؛ لَتَوْضَحَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِهَا.

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْهُ -وَمِنْ ذَلِكَ سَعْيُهُمْ فِي إِبْطَالِ
الْإِسْلَامِ، وَكَيْدُهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ- أَنْ تَبْتَاعَهُمُ الْأَرْضُ؟ أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِمْ.
أَوْ يُهْلِكَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ فِي حَالِ سَفَرِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي
مَعَاشِهِمْ وَأَسْغَالِهِمْ، فَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ.

أَوْ يُهْلِكُهُمْ حَالُ تَخَوُّفٍ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.
أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ -الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ- إِلَى مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ
الَّتِي لَهَا ظِلٌّ، كَالْأَشْجَارِ وَالْجِبَالِ وَغَيْرِهَا، تَرْجِعُ ظِلَّالَهَا مِنْ
مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ، فَتَمِيلُ ذَاتُ الْيَمِينِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَذَاتُ الشِّمَالِ
فِي آخِرِهِ، سَاجِدَةً لِرَبِّهَا، خَاضِعَةً لِعَظَمَتِهِ، وَهُمْ صَاغِرُونَ تَحْتَ
تَسْخِيرِهِ؟

وَلِلَّهِ وَحْدَهُ يَسْجُدُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ مِنْ كُلِّ مَا
يَدْبُ وَيَتَحَرَّكُ سَجُودَ ذَلٍّ وَخُضُوعٍ، وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ، وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ التَّذَلُّلِ لَهُ.

يَخَافُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُمْ بِذَاتِهِ وَقَهْرِهِ وَكَمَالِ
صِفَاتِهِ، وَيَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِفِعْلِهِ.

وَقَالَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ: لَا تَعْبُدُوا مَعْبُودِينَ اثْنَيْنِ، فَتَجْعَلُوا لِي شَرِيكًا
فِي الْعِبَادَةِ، إِنَّمَا الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ، فَخَافُونِي
وَخُذِي، وَامْتَثِلُوا أَمْرِي، وَاجْتَنِبُوا نَهْيِي.

وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ، وَلِلَّهِ
وَحْدَهُ الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْخُضُوعُ دَائِمًا؛ فَطَاعَتْهُ وَاجِبَةً عَلَى
عِبَادِهِ، لَا تَنْقُطُ، أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَنْقُوتُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهُوَ الْمَعْبُودُ
الْحَقُّ، الْمَتَقَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ؟!

جميع ما لديكم -أيها الناس- من نِعَمٍ، فمن الله وحده، ثم إذا أصابكم بلاءٌ، فإلى الله تَصَرُّخُونَ بالدُّعاء، وبه تَسْتَغِيثُونَ وحده. ثم إذا أزال الله عنكم الشِّدَّةَ، ورفع البلاءَ، إذا جماعةٌ منكم -أيها الناس- يجعلون لربِّهم شريكًا في عبادته!

ليَكْفُرُوا بما آتَيْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ كَشَفِ الضُّرِّ عنهم، فَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا -أيها المُشْرِكُونَ- فسوف تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ كُفْرِكُمْ. ويجعلُ المُشْرِكُونَ لِلْأَصْنَامِ -التي لا يَعْلَمُونَ لها حقًّا، ولا ضَرًّا ولا نَفْعًا، ولا حُجَّةَ لهم في عِبَادَتِهَا- حِطًّا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهَا! وَاللَّهُ -أيها المُشْرِكُونَ- لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كُنْتُمْ تَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَيَنْسُبُ الْمُشْرِكُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ -إِذْ رَزَعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُهُ- تَنْزَهُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَهُمْ مَا يُحِبُّونَ، وَهُمْ الذُّكُورُ! وإذا أَخِيرَ أَحَدُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ بِوِلَادَةِ بِنْتٍ لَهُ، يَظَلُّ وَجْهَهُ مَتَغَيِّرًا؛ مِنْ كِرَاهِيَّتِهِ الشَّدِيدَةِ لَذَلِكَ، وَقَدْ امْتَلَأَ غَمًّا وَغَضَبًا وَغَيْظًا!

يَخْتَفِي عَنْ أَنْظَارِ قَوْمِهِ؛ مِنْ كِرَاهِيَّتِهِ لِلْبِنْتِ، وَمِمَّا يَلْحَقُهُ مِنَ الْعَارِ بِزِعْمِهِ! يَتَحَيَّرُ وَيَتَرَدَّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: هَلْ يُمَسِّكُهَا عَلَى هَوَانٍ وَذِلَّةٍ، أَمْ يُخْفِيهَا فِي التُّرَابِ بِدَفْنِهَا حَيَّةً؟! أَلَا بِئْسَ مَا يَحْكُمُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، فِي نِسْبَتِهِمُ الْبَنَاتِ -اللاتي لا يَرْضَوْنَهُنَّ لَأَنْفُسِهِمْ- إِلَى اللَّهِ!

لهؤلاءِ المُشْرِكِينَ -الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ- الْمَثَلُ الْقَبِيحُ، وَالْعَيْبُ وَالتَّقْصُ، وَاللَّهُ الْوَصْفُ الْأَفْضَلُ وَالْأَطْيَبُ وَالْأَحْسَنُ، مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَتَنْزُهُهِ عَنِ الْوَلَدِ، وَأَنَّ لَهُ

جميع صفات الكمال المطلق. والله ذو العزّة، الغالب لكلّ شيء، الحكيم فلا خلل في تدبيره.

ولو يُعاجِلُ اللهُ النَّاسَ بالعقوبة؛ بسببِ شُرْكِهِمْ وكُفْرِهِمْ، وافترائِهِمْ على الله، وعصيانِهِمْ له- لَأَهْلَكَ جميعُ النَّاسِ وغيرِهِمْ مِنَ الدَّوَابِّ، وَلَكِنْ يُمهِّلُ اللهُ بِجُلْمِهِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُقَدَّرُ لِهَلَاكِهِمْ، لَا يُؤَخَّرُونَ سَاعَةً، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ فَيُهْلَكُونَ قَبْلَهُ.

وَيَنْسَبُ الْمُشْرِكُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ اللَّاتِي يَكْرَهُنَّ، وَيَعُدُّونَ نِسْبَتَهُنَّ إِلَى أَحَدِهِمْ نَقْصًا وَعَيْبًا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَكُونَ عِبِيدُهُمْ شُرَكَاءَ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَيَكْذِبُ الْمُشْرِكُونَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ لَهُمُ الْجَزَاءَ الْحَسَنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ! فَحَقًّا أَنَّ لَهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَقًّا أَنَّهُمْ مُعْجَلُونَ إِلَيْهَا، مَنْسِيُونَ وَمَتْرُوكُونَ فِيهَا أَبَدًا.

والله -يا مُحَمَّدُ- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَى أُمَمٍ مَاضِيَةٍ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ، فَحَسَنَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ بَاطِلٍ، فَسَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِيَّهُمْ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى نَصْرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ.

وما أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ -يا مُحَمَّدُ- إِلَّا لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَتُرْشِدَهُمْ إِلَى الصَّوَابِ، وَأُنْزِلْنَا الْقُرْآنَ هَادِيًا لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِمَا فِيهِ، وَيَتَّبِعُونَهُ.

والله وَحْدَهُ أُنْزِلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً لَا زَرْعَ فِيهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً

على وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الْحُجَّةَ، فَيَفْهَمُونَهَا.

وإِنَّ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ لَدَلَالَةً تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، تُسْقِيكُمْ لَبَنًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِ الْأَنْعَامِ مِنْ بَيْنِ فَرْثِهَا وَدَمِهَا صَافِيًا، غَيْرَ مُخْتَلِطٍ بِرَائِحَةِ الْفَرْثِ، وَلَا لَوْنِ الدَّمِ، سَهْلَ الْمُرُورِ فِي الْحَلْقِ، لَذِيذًا هَنِيئًا لَا يَغْصُ بِهِ شَارِبُهُ.

ولَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِبْرَةٌ مِمَّا نَزَرُكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، فَتَتَّخِذُونَ مِنْهُ شَرَابًا مُسْكِرًا، وَرِزْقًا حَسَنًا لَا يَنْشَأُ عَنْهُ ضَرَرٌ فِي بَدَنِ وَلَا عَقْلٍ، كَالثَّمَرِ، وَالْعِنَبِ، وَالْعَصِيرِ، إِنَّ فِي الْإِنْعَامِ عَلَى النَّاسِ بَلَدْنِ الْأَنْعَامِ وَثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ حُجَجَ اللَّهِ، وَيَعْتَبِرُونَ بِهَا. وَأَلْهَمَ رَبُّكَ - يَا مُحَمَّدُ - النَّحْلَ بَأَن يَتَّخِذُوا مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا، وَمِنَ الْأَشْجَارِ، وَمِمَّا يَبْنِي النَّاسُ.

ثُمَّ أَلْهَمَ اللَّهُ النَّحْلَ أَنْ كُلِّي مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الثِّمَارِ، فَادْخُلِي طُرُقَ رَبِّكَ مُدَلَّلَةً لَكَ؛ لِتَطْلُبِي الرِّزْقَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ عَسَلٌ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانِ، وَفِي الْعَسَلِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ مِنَ الْأَمْرَاضِ، إِنَّ فِي إِلْهَامِ اللَّهِ لِلنَّحْلِ بَاتِّخَاذِ الْبُيُوتِ مِنَ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْعُرُوشِ، وَالسُّلُوكِ فِي الْمَرَاعِي لِلْاجْتِنَاءِ مِنَ الثِّمَارِ؛ لِتُخْرِجَ الْعَسَلَ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي عَظَمَةِ مَسْجَرِهَا، فَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى أَنَّهُ الْقَادِرُ، الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ، الْكَرِيمُ، الرَّحِيمُ، اللَّطِيفُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ أَوْجَدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مَوْتَهُ، وَيُتْرَكُ إِلَى أَحْسَنِ الْعُمُرِ وَأَرْوَدِهِ، فَتَضَعُفُ

قُوَّتُهُ وَعَقْلُهُ، فَيَصِيرَ جَاهِلًا بَعْدَ عِلْمِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
فَلَا يَنْسَى وَلَا يَجْهَلُ شَيْئًا، قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ.

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَى بَعْضٍ فِيمَا رَزَقَكُمْ مِنَ
الْأَمْوَالِ، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ غَنِيًّا، وَبَعْضَكُمْ فَقِيرًا، وَبَعْضَكُمْ حُرًّا لَهُ
مَالٌ، وَبَعْضَكُمْ مَمْلُوكًا لَا مَالَ لَهُ، فَلَيْسَ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى
غَيْرِهِم بِالرَّزْقِ بَجَاعِلِي رِزْقِهِمْ لِعَبِيدِهِمْ، فَيَكُونُوا هُمْ وَعَبِيدُهُمْ
شُرَكَاءَ فِيهِ بِالسَّوِيَّةِ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَبِيدُكُمْ مَعَكُمْ سَوَاءً فِي أَمْوَالِكُمْ،
وَلَا تَرْضَوْنَ هَذِهِ الْحَالَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ
لَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَهُمْ عَبِيدٌ لَهُ؟! أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ،
بِإِسْرَاقِهِمْ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ، أَوْ اسْتِعْمَالِ نِعَمِهِ فِي مَعْصِيَتِهِ؟!

وَاللَّهُ خَلَقَ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ جَنْسِكُمُ الْبَشَرِيَّ وَعَلَى هَيْئَتِكُمْ
أَزْوَاجًا، وَخَلَقَ لَكُمْ مِنْهُمْ أَبْنَاءً، وَأَبْنَاءً لِأَبْنَائِكُمْ، يُسْرِعُونَ فِي
خِدْمَتِكُمْ، وَيَقْضُونَ حَوَائِجَكُمْ، وَرَزَقَكُمْ اللَّهُ مِنْ حَلَالِ الْأَمْوَالِ
وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ،
وَبِنِعْمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ يَكْفُرُونَ؟!

وَيَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ لَا تَمْلِكُ وَلَا تَقْدِرُ أَنْ
تَرْزُقَهُمْ شَيْئًا.

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَمْثَالًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا
مِثْلَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَأَنْتُمْ -أَيُّهَا
الْمُشْرِكُونَ- لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَتَقْعُونَ بِجَهْلِكُمْ فِي الشِّرْكِ بِهِ
سُبْحَانَهُ.

بَيَّنَّ اللَّهُ مِثْلًا لِنَفْسِهِ وَلِلْأَصْنَامِ؛ كَعَبْدٍ مَمْلُوكٍ عَاجِزٍ، لَا يَمْلِكُ
شَيْئًا، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، وَلَا مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، وَرَجُلٍ

حُرِّ غَنِيَّ آتَاهُ اللَّهُ رِزْقًا وَاسِعًا، يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، فَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛ إِحْسَانًا مِنْهُ إِلَى الْآخَرِينَ، فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَا الْعَبْدُ وَالْحُرُّ؟! فَكَذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ، وَبِيَدِهِ الرِّزْقُ؛ لَا يَسْتَوِي مَعَ الْمَعْبُودَاتِ الْعَاجِزَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّخِذُونَهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادَتِهِ، فَكَيْفَ تُسَوُّونَ بَيْنَهُمَا؟ إِنَّ الْحَمْدَ الْكَامِلَ الْخَالِصَ لِلَّهِ الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ فَيَعْبُدُونَ وَيَحْمَدُونَ غَيْرَهُ لَجَهْلِهِمْ.

وَضَرَبَ اللَّهُ لَكُمْ مَثَلًا لِنَفْسِهِ وَلِلْأَصْنَامِ؛ كَرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا لَا يَنْطِقُ، وَلَا يَسْمَعُ، وَلَا يَعْقِلُ، عَاجِزٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ثَقِيلٌ عَلَى مَنْ يَلِي أَمْرَهُ، أَيْنَمَا يُرْسِلُهُ مَوْلَاهُ فِي عَمَلٍ لَا يَنْجَحُ فِيهِ، فَهُوَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَلَا يَقْضِي حَاجَةً؛ لَعَجْزُهُ وَعَدَمُ فَهْمِهِ لِمَا يُقَالُ لَهُ، وَعَدَمُ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا يُرِيدُ، فَهَلْ يَسْتَوِي ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ مُتَكَلِّمٌ قَادِرٌ يَأْمُرُ بِالْحَقِّ وَالْقِسْطِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ -مَعَ مَا ذُكِرَ مِنْ نَفْعِهِ الْعَامِّ- عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا يَنْحَرِفُ عَنْهُ، عَامِلٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَى مَطْلَبٍ إِلَّا وَيَبْلُغُهُ بِأَقْرَبِ سَعْيٍ وَأَسْهَلِهِ، فَهُوَ عَادِلٌ فِي أَقْوَالِهِ، مُسْتَقِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ؟ فَإِذَا اِمْتَنَعَ التَّسَاوِي بَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ، فَكَذَلِكَ يَمْتَنِعُ التَّسَاوِي بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَادِلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَبَيْنَ مَا يَجْعَلُونَهُ شُرَكَاءَ لَهُ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ مُلْكٌ مَا غَابَ عَنْ عِبَادِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ الْغُيُوبِ، دُونَ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، وَمَا أَمْرُ قِيَامِ السَّاعَةِ فِي سُرْعَةٍ وَجُودِهَا، وَبَعَثِ الْخَلْقِ وَسُهُولَتِهِ إِلَّا كَنَظَرَةِ سَرِيعَةٍ

مِنَ الْبَصَرِ أَوْ هِيَ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،
وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
أَطْفَالًا جَاهِلِينَ، وَخَلَقَ لَكُمْ السَّمْعَ، وَالْأَبْصَارَ، وَالْأَفِيدَةَ؛ كَيْ
تَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ، وَتَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ
وَحُدُودِهِ.

أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي ذَلَّلَ اللَّهُ لَهَا الطَّيْرَانَ بِأَجْنِحَتِهَا
فِي الْهَوَاءِ، مَا يُمْسِكُ الطُّيُورَ فِي الْجَوِّ إِلَّا اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَدَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ،
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ بُيُوتِكُمْ- كَأَلَّتِي مِنَ الْحَجَرِ
وَالْمَدَرِ وَالْخَشَبِ- مَسَاكِينَ تَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ خِيَامًا مِنْ
جُلُودِ الْأَنْعَامِ، أَوْ مِمَّا يَنْبُتُ عَلَيْهَا مِنْ صَوْفٍ وَشَعَرٍ وَوَبَرٍ،
تَجِدُونَ الْخِيَامَ خَفِيفَةَ الْحَمْلِ وَالنَّقْلِ فِي تَرْحَالِكُمْ، وَجَلَّكُمْ، وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَابِ الْغَنَمِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَاعِزِ أَثَاثًا
تَتَّخِذُونَهُ لِبُيُوتِكُمْ، وَمَتَاعًا تَتَنَفَّعُونَ بِهِ إِلَى أَجَلٍ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالسَّحَابِ وَالْجِبَالِ
وَالْبُيُوتِ وَغَيْرِهَا ظِلًّا تَسْتَظِلُّونَ بِهَا مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ،
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ مَغَارَاتٍ وَحُصُونًا تَحْمِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ
وَالْبَرْدِ، وَالْأَمْطَارِ وَالْأَعْدَاءِ، وَجَعَلَ لَكُمْ ثِيَابًا تَدْفَعُ عَنْكُمْ ضَرَرَ
الْحَرِّ، وَثِيَابًا -كَالدُّرُوعِ وَغَيْرِهَا- تَدْفَعُ عَنْكُمْ ضَرَرَ السِّلَاحِ،
كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ
تُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَتَخْضَعُونَ لَهُ، وَتَتَقَادُونَ لِأَمْرِهِ.

فَإِنْ أَعْرَضَ الْمُشْرِكُونَ - يَا مُحَمَّدٌ - عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ،
والتَّذْكِيرِ بِالنِّعَمِ وَالْإِحْسَانِ؛ فَمَا عَلَيْكَ مِنْ لَوْمٍ وَلَا عِتَابٍ؛ إِذْ لَيْسَ
عَلَيْكَ إِلَّا تَبْلِيغُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ.

يَعْرِفُ الْمُشْرِكُونَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْحَدُونَهَا، فَلَا يَشْكُرُونَ
اللَّهَ عَلَيْهَا، وَيَنْسُبُونَهَا إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُونَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ،
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولَهُمْ لِيَشْهَدَ بِمَا أَجَابْتَهُ بِهِ أُمَّتُهُ فِيمَا
بَلَّغَهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ لَا يُعْطَى الْكَفَّارُ الْإِذْنَ لِلْإِعْتِزَالِ إِلَى اللَّهِ
مِنْ كُفْرِهِمْ، وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إِرْضَاؤُهُ، وَلَا يُرْتُّونَ إِلَى الدُّنْيَا
لِيَتُوبُوا، وَيَعْمَلُوا صَالِحًا.

وَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ النَّارَ، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ عَذَابُهَا، وَلَا
يُؤَخِّرُونَ عَنْ دُخُولِهَا.

وَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْبُودَاتِهِمْ، قَالُوا: رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ، فَقَالَ شُرَكَائُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا
يَعْبُدُونَهُمْ: إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ فِي ادِّعَائِكُمْ أَنَّنَا آلِهَةٌ، وَمَا أَمْرُنَاكُمْ
بِعِبَادَتِنَا.

وَاسْتَسْلَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ، خَاضِعِينَ لِحُكْمِهِ فِيهِمْ،
وَغَابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، وَاضْمَحَلَّ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ مِنْ
أَنَّ آلِهَتَهُمْ سَتَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِهِ؛ زِدْنَاهُمْ فِي
النَّارِ عَذَابًا عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ
عَنِ الْحَقِّ

وَاذْكُرْ - يَا مُحَمَّدٌ - يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ نَبِيًّا شَاهِدًا عَلَيْهِمْ،
وَهُوَ مِنْهُمْ، وَيَتَحَدَّثُ بِلِسَانِهِمْ، وَجِئْنَا بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِدًا عَلَى

أَمَّتِك، وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مُبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى بَيَانِهِ، وَنَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ هَادِيًا مِّنَ الضَّلَالَةِ، وَرَحْمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْخَيْرِ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُنْقَادِينَ لِلْحَقِّ.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِالْإِنصَافِ، وَأَدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، وَيَأْمُرُ بِإِعْطَاءِ الْأَرْحَامِ حُقُوقَهُمْ، وَإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ؛ صَلَةً لَهُمْ، وَيَنْهَى اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْقُبْحِ، كَالزَّنا، وَيَنْهَى عَمَّا تَسْتَكْرِهُ النَّفُوسُ السُّوِيَّةُ، وَتَأْبَاهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَنْهَى عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ، وَالتَّعَدِّيِّ عَلَيْهِمْ، يَعْظُمُ اللَّهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَمَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ؛ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ.

وَأَوْفُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- بِجَمِيعِ الْعُهُودِ، وَلَا تُخَالِفُوا الَّتِي أَكَّدْتُمُوهَا وَغَلْظْتُمُوهَا بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ حَفِظًا وَشَهِيدًا وَمَتَكِفًّا بِوَفَائِكُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْكُمْ تَرْكًا لَتَعْظِيمِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا تَفْعَلُونَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ وَفَاؤُكُمْ بِالْعُهُودِ وَنَقْضُهَا.

وَلَا تَكُونُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي نَقْضِ الْعُهُودِ الَّتِي أَكَّدْتُمُوهَا كَالْمَرَأَةِ الَّتِي تَحُلُّ مَا نَسَجَتْ بَعْدَ إِحْكَامِهِ! تَجْعَلُونَ أَيْمَانَكُمْ وَسِيلَةً لِلْغَدْرِ بِمَنْ عَاهَدْتُمُوهُمْ، فَتَحْلِفُونَ لَهُمْ؛ لِيَطْمَئِنُّوا إِلَى عُهُودِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُضْمِرُونَ نَقْضَهَا إِنْ وَجَدْتُمْ آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ عَدَدًا أَوْ قُوَّةً أَوْ غِنًى، إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمْ اللَّهُ بِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ؛ لِيَتَبَيَّنَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ، وَالْمُخَالِفُ لِأَمْرِهِ، وَلِيُبَيِّنَنَّ اللَّهُ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فَيَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ جَمِيعًا -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بِحِكْمَتِهِ يَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَيَحْرُمُ تَوْفِيقَهُ

مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؛ عدلاً منه سبحانه، وَيُوقِّقُ مَنْ يَشَاءُ، فَيَهْدِي لِلْحَقِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ؛ فضلاً منه سبحانه، وَلَيْسَ أَلَنَّاكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

وَلَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ خَدِيعَةً لِمَنْ تَحْلِفُونَ لَهُمْ؛ لِيُصَدِّقَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتَوَوَّنَ الْعَدْرَ بِهِمْ إِنْ سَنَحَتْ فُرْصَةٌ، فَتَنْحَرِفَ أَقْدَامُكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَى الْحَقِّ، فَتَهْلِكُوا؛ بِسَبَبِ إِعْرَاضِكُمْ، وَصَدِّكُمْ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ، حِينَ تَغْدِرُونَ بَعْهَدَهُمْ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ وَثُوقٌ فِي دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ.

وَلَا تَنْقُضُوا عُهْدَكُمْ الَّتِي أَكَّدْتُمُوهَا بِالْإِيمَانِ؛ لَنِيْلٍ مَتَاعٍ قَلِيلٍ، إِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ -إِذَا أَطْعَمْتُمُوهُ بِالْوَفَاءِ بِعُهْدِكُمْ- أَفْضَلُ لَكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

مَا عِنْدَكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا يَفْنَى، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَفْنَى؛ فَاحْرَصُوا عَلَيْهِ، وَلَنُنْثِيَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّابِرِينَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

مَنْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً -وَمِنْ ذَلِكَ الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ- مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْحَقِّ؛ فَلَنُحْيِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً سَعِيدَةً، وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الْآخِرَةِ ثَوَاباً عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

فَإِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ -يَا مُحَمَّدُ- فَالْتَجِئْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاسْتَجِرْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانٍّ مُتَمَرِّدٍ، مَطْرُودٍ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ؛ لَنَلَا يَصْرَفُكَ عَنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَالْإِنْتِفَاعِ بِهِ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ يَتَسَلَّطُ بِهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَمِدِينَ عَلَى رَبِّهِمْ، الَّذِينَ اسْتَعَاذُوا بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِنَّمَا تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ وَقَعَ عَلَى الَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَتَّبِعُونَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَعَلَى الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَإِذَا نَسَخْنَا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ بِأُخْرَى، خَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فِي كِتَابِهِ، وَيَنْسَخُهُ بِمَا يَصْلُحُ لِعِبَادِهِ- قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا أَنْتَ -يَا مُحَمَّدٌ- تَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ الْبَاطِلَ! وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ وَصِحَّتِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ: نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ، وَأَنَّ مَا فِيهِ مِنْ نَسْخٍ هُوَ لِحُكْمِ الْهِيَّةِ. قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: لَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ مُفْتَرًى مِنْ عِنْدِي، وَإِنَّمَا نَزَّلَهُ عَلَيَّ -نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ- جَبْرِيلُ الْمُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ خِيَانَةٍ وَهَوًى، وَغَيْبٍ وَآفَةٍ، نَزَّلَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي سُبْحَانَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ؛ لِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقَوِّيَ إِيْمَانَهُمْ، وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبُشْرَى بِالْخَيْرِ لِلَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لِلَّهِ تَعَالَى، وَخَضَعُوا لَهُ وَانْقَادُوا.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ بَشَرٌ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا يَقُولُ! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ: لُغَةُ الرَّجُلِ الَّذِي يُشِيرُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ -مَيْلًا وَانْحِرَافًا عَنِ الْحَقِّ- أَنَّهُ يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ؛ لُغَةُ أُعْجَمِيَّةٍ، وَلَيْسَتْ بِالَّتِي تُبَيِّنُ الْمَعَانِي، وَتُفَصِّحُ عَنِ الْمَرَادِ، وَهَذَا الْقُرْآنُ قَدْ نَزَلَ بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ ذَاتِ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ وَاضِحٍ عَظِيمٍ، فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا تَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ أُعْجَمِيٍّ!؟

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَأَدِلَّتِهِ، لَا يُوقِّفُهُمُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ
وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى رَدِّهِمُ الْهُدَى، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ.
إِنَّمَا يَخْتَلِقُ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ،
وَأُولَئِكَ مُعْتَادُونَ عَلَى الْكَذِبِ، وَهُوَ مُنْحَصِرٌ فِيهِمْ.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مُهْتَدِيًا، فَعَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ،
إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْحَالُ أَنَّ قَلْبَهُ مُوقِنٌ بِالْإِيمَانِ، وَلَمْ
يَتَغَيَّرْ اعْتِقَادُهُ، وَأَمَّا مَنْ اتَّسَعَ صَدْرُهُ لِقَبُولِ الْكُفْرِ وَاعْتَقَدَهُ،
وَطَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ؛ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

ذَلِكَ الْغَضَبُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ بِسَبَبِ أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ اخْتَارُوا نَعِيمَ الدُّنْيَا عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ لَا
يُوقِفُ الْكَافِرِينَ بِآيَاتِهِ، الْمُصْرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، هُمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَعْقِلُونَ بِهَا الْحَقَّ، وَأَصَمَّ أَسْمَاعَهُمْ، فَلَا يَسْمَعُونَ
الْهُدَى، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، فَلَا يَنْظُرُونَ آيَاتِ اللَّهِ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ
بِهَا، وَأُولَئِكَ هُمُ السَّاهُونَ عَمَّا خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهُ، وَعَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ.

حَقًّا أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ هُمُ الْهَالِكُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفَاتَهُمُ نَعِيمُ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَسْلَمُوا مِنْ
عَذَابِ النَّارِ.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنْ دِيَارِ
الْكُفْرِ إِلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ، مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَتْهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ عَنْ دِينِهِمْ
بِإِكْرَاهِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَأَظْهَرُوهُ لَهُمْ مَعَ إِخْفَاءِ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ
جَاهَدُوا الْكُفَّارَ؛ كَيْ لَا يَرْثُوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَصَبَرُوا عَلَى
الْمَشَاقِّ، إِنَّ رَبَّكَ لَغَفُورٌ لَهُمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، فَتُدَافِعُ بِقَوْلِهَا عَمَّا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتُوفَى جَزَاءُ ذَلِكَ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
بِزِيَادَةٍ فِي سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا بِنَقْصٍ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ

وَجَعَلَ اللَّهُ قَرْيَةً يَعْيشُ أَهْلُهَا فِي أَمْنٍ وَاطْمِنَانٍ وَاسْتِقْرَارٍ
مَثَلًا لِمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَبْطَرَتْهُمْ النِّعْمَةُ وَكَفَرُوا، فَأَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ
نِقَمَهُ، يَأْتِي أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ أَقْوَانُهُمْ وَمَعَايِشُهُمْ بِوَفْرَةٍ وَسُهولةٍ،
مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَجَحَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْجُوعَ
وَالْخَوْفَ؛ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ،
وَالنَّكَذِيبِ بِالْحَقِّ، وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

وَلَقَدْ جَاءَ أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، يَعْرِفُونَهُ
وَيَعْرِفُونَ نَسَبَهُ؛ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ
الدُّنْيَا بِالْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَالْقَتْلِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ.

فَكُلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْحُبُوبِ
وَالثِّمَارِ وَغَيْرِهَا، فِي حَالِ كَوْنِهَا حَلَالًا، مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، مُسْتَلَذَّةٍ
يَطِيبُ طَعْمُهَا، وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ، وَاصْرِفُوهَا فِي طَاعَتِهِ،
إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَتُطِيعُونَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِحْلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ
مِنَ الرِّزْقِ.

إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَاتَتْ
حَتْفَ أَنْفِهَا - دُونَ ذِكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ وَلَا اصْطِيَادٍ - وَالدَّمَ الْمَسْفُوحَ،
وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ، وَمَا دُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَالَّذِي
يُذْبَحُ لِلْأَصْنَامِ، وَيُسَمَّى عَلَيْهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ سُبْحَانَهُ، فَمَنْ أَلْجَأَتْهُ
الضَّرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الْمُحَرَّمَاتِ الْأَرْبَعَةِ، وَهُوَ غَيْرُ
مُبْتَغٍ لِتَنَاوُلِهَا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَلَا مُرِيدٍ التَّلَذُّذَ بِأَكْلِهَا، وَغَيْرُ

مُتَجَاوِزٍ قَدْرَ الضَّرُورَةِ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَا إِثْمَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِمْ.

وَلَا تَحَرِّمُوا وَتُحْلَلُوا مِنْ تَلَقَّاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَذِبًا عَلَى اللَّهِ، بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفُوزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لِلْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَلَى الْيَهُودِ حَرَّمْنَا مَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ قَبْلُ -فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، آيَةِ 146-، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَلَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَاسْتَحَقُّوا تِلْكَ الْعُقُوبَةَ.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لِلَّذِينَ اقْتَرَفُوا مَا لَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ الْمَعَاصِي، عَنْ سَفَهٍ مِنْهُمْ، وَإِثَارٍ لِلدُّنْيَا، وَغَمَايَةٍ عَنِ الْعَوَاقِبِ، ثُمَّ تَابُوا، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الطَّاعَاتِ؛ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ لَذُنُوبِهِمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَلَا يُعَاقِبُهُمْ.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُعَلِّمًا جَامِعًا لَخِصَالِ الْخَيْرِ، يُقْتَدَى بِهِ، مُطِيعًا لِلَّهِ، مُلَازِمًا لِعِبَادَتِهِ، مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ، مُعْرِضًا عَمَّا سِوَاهُ، مُسْتَقِيمًا عَلَى الْإِسْلَامِ، مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا.

قَائِمًا بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، اخْتَارَهُ اللَّهُ لَخُلَّتِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ، وَأَرْشَدَهُ وَوَفَّقَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ.

وَأَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الدُّنْيَا كُلِّ مَا فِيهِ رَاحَةُ الْعَيْشِ، فَجَمَعْنَا لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،

فَصَلَّحْتَ أُمُورَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَحَسَنْتَ مَنَزِلَتَهُمْ لَدَيْهِ
سَبْحَانَهُ.

ثُمَّ أَمَرْنَاكَ - يَا مُحَمَّدُ- بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَقِيمًا عَلَى
التَّوْحِيدِ، وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى دِينِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
إِنَّمَا فُرِضَ تَعْظِيمُ يَوْمِ السَّبْتِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالتَّقَرُّغُ فِيهِ
لِلْعِبَادَةِ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ حِينَ اخْتَلَفُوا فِي اسْتِحْلَالِهِ وَتَحْرِيمِهِ،
واعتباره أَفْضَلَ الْأَيَّامِ، فَضَلُّوا عَنِ الْجُمُعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ
إِبْرَاهِيمَ تَعْظِيمُ يَوْمِ السَّبْتِ، وَإِنَّ رَبَّكَ - يَا مُحَمَّدُ- لَيَحْكُمُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَوْلَئِكَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي شَأْنِ السَّبْتِ، فَيُبَيِّنُ الْمُحَقَّ مِنَ
الْمُبْطِلِ.

ادْعُ - يَا مُحَمَّدُ- جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى دِينِ رَبِّكَ بِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْكَ
مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَانصَحْهُمْ بِمَا فِي وَحْيِ اللَّهِ إِلَيْكَ مِنَ الْعِبَرِ
الْجَمِيلَةِ، وَذَكِّرْهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِقَمِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ بِمَا
يَسْتَحْسِنُهُ السَّامِعُونَ فَتَرِقُ قُلُوبُهُمْ، وَيَلِينُونَ لِلْحَقِّ، فَيَقْبَلُونَهُ،
وَيَتَّبِعُونَهُ، وَجَادِلِ الْمُعَانِدِينَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ مِنْ
الرَّفَقِ وَاللِّينِ، وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ أَدْعَى
لِلْإِسْتِجَابَةِ وَالْقَبُولِ، إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ زَاغَ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ اتَّبَعُوا الْحَقَّ، وَسَيُجَازِي كُلًّا مِنْهُمْ.

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ؛ فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ
مَا ظَلَمَكُمْ بِهِ، دُونَ زِيَادَةٍ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ، فَعَفَوْتُمْ؛
فَذَلِكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ.

وَاصْبِرْ - يَا مُحَمَّدُ- عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِكَ إِلَى اللَّهِ، وَتَحَمَّلْ أَذَاهُمْ،
وَمَا يَحْصُلُ صَبْرُكَ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ لَكَ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى
قَوْمِكَ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ، وَلَا يَضِيقْ صَدْرُكَ فَتَغْتَمَّ لِمَكْرِ قَوْمِكَ

بك، واختيالهم للصّدِّ عمّا جَنَّتْهم به من الحقِّ؛ فإنَّ اللهَ ناصِرُك،
ومُظهِرُ دِينِهِ.

إنَّ اللهَ بَنَصْرِهِ وتأييده ومَعُونَتِهِ مع الَّذِينَ اتَّقَوْه، ومع
المُحْسِنِينَ في عِبَادَةِ اللهِ، المُحْسِنِينَ إِلَى عِبَادِ اللهِ، يُعِينُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ
وَيَنْصُرُهُمْ.

ar10114v1.0 - 06/09/2026